

اللغة العربية مرآة ينعكس عليها تخلف العرب ينبغي ان لا يكتفى بها وحدها

الدكتور محمد فاضل الجمالي - الجامعة التونسية
(رئيس الحكومة العراقية سابقا)

التي يجب ان يترك امرها للباحثين في شؤون اللغات
القديمة الميتة .

وفي النواحي المادية يظهر التخلف في عدم
استطاعة معظم الدول العربية توفير المال الكافي
لنشر الثقافة بين الجماهير وتأسيس المطابع
الكافية التي تطبع الكتب الراقية وفتح المكتبات
الكثيرة وتزويد الشعب بالمادة الغذائية لارواحهم
وانكارهم وعواطفهم باللغة العربية الفصحى
المبسطة .

وفي النواحي الثقافية يظهر التخلف في عدم تعمقنا
في درس حضارتنا وعدم معرفة لغتنا وما تحويه من
كنوز فكرية وادبية وعدم تذوقنا بجمال البيان العربي.
وفي النواحي الفكرية والروحية يظهر التخلف
في عدم اتقاننا على فلسفة تومية واضحة تجمع
الشمل وتسير بنا نحو الاهداف الانسانية العليا
فلسفة مؤسسة على الايمان بالله والاخذ باساليب
العلم والديمقراطية في الحياة . فبعضنا يدعو الى
العلمانية والبعض يقلد هذه العقائدية الغربية او تلك
تقليدا سطحيًا . فما لم تكن لنا جذور ثابتة في تربة
اوطاننا وحضارتنا واثارتنا فسنبقى كريحشة في مهب
الريح ومن كان هذا شأنه فقد لا يهمنه ان تكلم بالعربية
او بغيرها من اللغات .

أما انتشار اللغة العربية في العالم فيتطلب من
الشعوب العربية ودولها ان تسلك سلوكا ايجابيا
جذابا في معاملة الشعوب غير العربية مع كثرة
الاتصال بها وتأسيس العلاقات الطيبة معها . اما
الشوفينية التومية واما سياسة العنف والاستعلاء
فانها مما تنفر الشعوب الاخرى من العروبة والاسلام.
ثم ان على الدول العربية والاسلامية ان تبذل بسخاء
في سبيل نشر العربية وتسهيل تدريسها وتيسير

1 - ان المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية
هي مشاكل التخلف في الحياة على اختلاف مناحيها .
نما دامت مشاكل التخلف قائمة فللغة نصيبها من هذا
التخلف . اذ ما اللغة سوى مرآة تنعكس فيها حياة
الامة بكاملها ما ظهر منها وما بطن .

ففي النواحي النفسية يظهر تخلف الامة في
الفردية المفرطة وقلة الارتباط والاتصال بين المفكرين
والباحثين . وفي الشعور بالضعف امام الاساتذة
الاجانب والافتكاح عليهم والاعتزاز بتقليدهم والتفاخر
باستعمال لغتهم مع شيء من التهاون وعدم
الاكتراث بلغتنا العربية . يقابل الشعور بالضعف هذا
عند البعض شعور بالغرور والازدراء باللغة الاجنبية
ومن يستعملها عند البعض الآخر ممن يعتقدون بأن
ما ورثناه من تراث ثقافي يغني عن كل ما جاء به
الغرب من اباطيل . اذن فلنجد لغتنا ولتنكش على
انفسنا .

وفي النواحي السياسية يظهر التخلف في كون
العرب مشغولين بقتل بعضهم بعضا . ولا يزال الجرح
الذي احدثته نكبة فلسطين يستنزف دماء العرب . أما
التراشق والتهاتر بين الحكومات العربية فقد اصبح
من الامور المحزنة المألوفة . هذا وان بعض البلاد
العربية تحن الى الطمانينة والاستقرار فهي عرضة
للاقتلابات العسكرية المتكررة . ان ظروفنا قاسية كهذه
تعيثها الامة العربية لا تسمح بالفرغ الى الامور
الجوهرية في حياة الامة ومنها الاهتمام بشكلة اللغة
العربية . اصف الى هذا كله دعايات اجنبية مفرضة
يقوم بها بعض الاجانب من اعداء العروبة والاسلام
من يدعون الى نشر اللغة العامية كما يحاولون
اظهار العربية الفصحى بظهر اللغة العسيرة المنال
غير الملائمة للحياة الجديدة اي انها من اللغات المتحجرة

الكتب والوسائل اللازمة لها ولنا في فرنسا أحسن مثال وقدوة من حيث بذلها بسخاء من أجل نشر لغتها وثقافتها في الخارج .

2 - يتضح مما قلناه ان كل ما نقوم به في سبيل القضاء على التخلف فيه خدمة غير مباشرة للغة العربية اما الحلول المباشرة فأنجمعها في رأيي اجتماع اولي الفكر واصحاب الاختصاصات العلمية المتنوعة في مؤتمرات وندوات تعالج فيها تضايا اللغة والمصطلحات في كل من الاختصاصات ، ونحن نفضل ان تكون الحركة الاصلاحية في اللغة حركة صاعدة اي ان تصعد من ذوي الفكر والخبرة انفسهم وتنشأ عنهم أكثر منها نازلة من مراجع حكومية عليا تفرض المصطلحات وتليها املاء على من سيستعملونها . وهذا يتطلب بالطبع جوا من الاستقرار السياسي المؤسس على الروح الديمقراطي مع الحرية الكافية بالحركة والاتصال بين رجال العلم والفكر والادب وايجاد منظمات ثقافية حرة تربط بين ابناء البلاد العربية . وهذا بدوره يتطلب جوا من الصفاء والتفاهم على الاهداف والمعتقدات بين البلاد العربية ، وهذا يتطلب الاسراع بتنقية الجو العربي واحلال الصراحة محل المجاملة والاخفاء محل الجفاء .

3 - انه لما يحز في النفس ويجرح الكرامة القومية ان يوجه الى اي عربي سؤال بهذه الصيغة . وكان الاجدر ان يكون السؤال « هل يصلح العرب للبقاء في هذا العصر ام هم اجدر بالفناء ؟ » ترى هل سأل الصهيونيون انفسهم ان كانت اللغة العبرية تصلح للتعليم الجامعي يوم اسسوا الجامعة العبرية في القدس وبدأوا التدريس بالعبرية فيها ؟ وهل سأل البلغار او اليونان او اليابانيون انفسهم مثل هذا السؤال يوم اسسوا جامعاتهم التي بدأت تدرس في لغاتهم ؟ لا شك في انهم لم يسألوا انفسهم مثل هذا السؤال بل انهم بدأوا بالترجمة والنقل والتأليف واتفقوا على اسلوب وضع المصطلحات . اذن فالسؤال غير وارد مبدئيا .

اما فيما يتعلق باللغة العربية فاستطيع الجواب بكل تأكيد بأن في وسعها ان تصبح ادق لغة علمية الى جانب كونها لغة روحية وفلسفية وادبية من الطراز الارفع .

مشكلتنا في العالم العربي اليوم هي ان البعض منا يفهم ان التدريس بالعربية في المستوى الجامعي معناه الاكتفاء بها وحدها وعدم اتقان لغة اجنبية واحدة او أكثر للاستفادة من المراجع العلمية وهذا خطأ فاحش . وقعت فيه بعض المعاهد العلمية في

المشرق العربي فخرجت طلابا أشباه مثقفين يحملون الشهادات العالية . يقابل هذا التطرف معاهد عربية أخرى منيت بالخوف والحذر مما حل بالمشرق العربي فهي تتجنب العربية وتتجنب بعض الاساتذة العرب فيها من استعمال لغتهم القومية في التدريس ان المخوفين من استعمال اللغة العربية في التدريس الجامعي يخطئون مثل ما يخطئ أولئك الذين يكتفون باللغة العربية وحدها للتعليم الجامعي فانهم جميعا يؤخرون سير التعريب ونمو اللغة العربية .

وفي الحقيقة ان اية دراسة جامعية شاملة تتطلب معرفة لغة اجنبية حية واحدة على الأقل الى جانب اللغة الام . ومعرفة الطالب لهذه اللغة يجب ان تكون بدرجة الاتقان بحيث يستطيع ان يقرأ ويكتب ويعرب عن فكرة فيها بطلاقة ودقة ، اذا تحقق ذلك فما الذي يمنع الاستاذ العربي من ان يدرس في الجامعة بلغته القومية مستعينا بما يحتاج اليه من المصادر والمراجع باللغة الاجنبية ؟ وهل اللغة العربية عاجزة عن التعبير عن المفاهيم في أي من العلوم الانسانية كالدين والفلسفة والقانون والتاريخ والجغرافية والاجتماع والنفس والتربية والتعليم والادب العربي ؟ وهل اللغة العربية عاجزة عن التعبير عن مفاهيم الرياضيات كالحساب والهندسة والجبر ؟ وهلا يمكن تدريس العلوم الأخرى أيضا وشرحها باللغة العربية حتى يحين انجاز المصطلحات في العلوم الطبيعية والتقنية ؟ لا شك في ان معرفة المصطلحات العلمية بصيغتها الدولية ضروري حتى ولو كان الاستاذ يحسن العربية ويستعمل المصطلحات العربية . اما اذا كان الاستاذ اجنبيا فلا خير في ان يدرس بلغته الاجنبية فنحن في حاجة الى الاساتذة الاجانب في هذه المرحلة من نهضتنا .

هذا وان معرفة اللغة الاجنبية والدرس فيها من الامور المتعارفة لدى كل الامم الحية الراقية اليوم . فالفرنسي يقرأ ما انتجه زميله الامريكي او الالماني او الانكليزي ، والانكليزي يقرأ ما انتجه زميله الفرنسي او الالماني او الروسي . وان الاتصال الثقافي بين الامم والشعوب يتطلب اتقان لغة اجنبية ولكن ذلك يجب ان يكون الى جانب اللغة القومية ومغنيا لها وليس على حساب اللغة القومية ومحلها .

نحن مقتنون ومؤمنون بإمكانية اللغة العربية ان تستوعب كل العلوم والفنون الحديثة وان تهضم كل ما يستجد من افكار ومخترعات، ولذلك فليس

السؤال عن صلاح العربية للتدريس الجامعي بذي موضوع .

4 - ان المشاكل التي تعترض اللغة العربية في التدريس الجامعي تتلخص في نظرنا في « شسدة الحذر » او « الجهل بالعربية » او « الشعور بالتبعية الثقافية » لجهة اجنبية لدى بعض العرب الذين لا يستعملون لغتهم القومية في التدريس .

لقد اختبرت التدريس في مختلف المستويات التعليمية منذ نحو من خمسين سنة . ويوم بدأت ادرس التربية وعلم النفس في دار المعلمين الابتدائية في بغداد قبل اربعين سنة لم اجد صعوبة كبرى في نقل المصطلحات من الانكليزية الى العربية ويوم بدأت ادرس التربية وعلم النفس والفلسفة الاخلاقية في دار المعلمين العالية قبل ثلاثين عاما لم اجد صعوبة كبرى في نقل المصطلحات التربوية والفلسفية الى العربية . فما نحتاجه في عالمنا العربي هو ان ينشأ بيننا اساتذة في المعاهد العالية يغارون على لغتهم العربية ويمتزون بها ذلك الى جانب بروزهم في المادة العلمية . ولا يعني ذلك كما اسلفت تساهلهم في الرجوع الى المصادر العلمية باللغات الاجنبية وحمل الطلاب على درسها واستيعابها الى جانب استعمالهم اللغة العربية .

5 - المصطلح العلمي يشكل في نظر الكثيرين اهم مشكلة تعترض نمو اللغة العربية فكيف للعالم العربي ان يتخلص من هذه المشكلة ؟
لقد اشرنا في جوابنا على السؤال الثاني باننا

نفضل الطريقة الصاعدة في اقرار المصطلحات العلمية أي ان يقوم الاساتذة ذوو الاختصاص انفسهم بوضع ما يحتاجون اليه من مصطلحات . اما طريقة ذلك فهي ان يبدأ الاساتذ المختص بالتحري عن اللفظ الذي يحتاج اليه في المصادر قديمها وحديثها شرقيا وغربيا . فان لم يجد المصطلح المطلوب فليقترح هو ما يراه من مصطلح ويتصل بزملاء له يدرسون المادة ذاتها فيتفق معهم على الكلمة المفضلة للمعنى المطلوب وهذه هي المرحلة الابتدائية الاولى .

اما المرحلة الثانية فهي ان ينتظم اصحاب الاختصاصات في كل بلد عربي في منظمات تجتمع دوريا وتتفق فيما بينها على المصطلحات المفضلة في ذلك البلد العربي ، وتستعمل هذه المصطلحات عند وضع الكتب المدرسية الجديدة .

والمرحلة الثالثة هي ان يجتمع ممثلون عن البلاد العربية المختلفة في شتى الاختصاصات في مؤتمرات دورية ليتفقوا على قدر المستطاع على توحيد المصطلحات بين البلاد العربية .

هذا ولا يجوز ان يكون اختلاف الراي حول المصطلحات عائقا للسير في عملية التعريب فعجلة التعريب يجب ان تسير والزمن كفيل ببقاء الاصلح من المصطلحات .

والمهم في نظرنا هو الاعتزاز بلغتنا وادراك انها عنوان شخصيتنا القومية وكرامتنا الانسانية لانها تحوي وتحمل ارواحنا وافكارنا وعواطفنا .
والله على ما نقول شهيد